الوحدة الثانية: نقد الشعر :أفلاطون.

شغف أفلاطون بالفلسفة منذ صغره، فاقترن اسمه بها وبقي الفيلسوف الحاضر في كل الأزمنة، لكن اهتمامه بالفلسفة لم يمنعه من الاهتمام بالفن، وبالتحديد الأدب و الإدلاء بآرائه النقدية حوله، خاصة ما تعلق بالشعر والخطابة. ويفترض أفلاطون أن كل الفنون قائمة على التقليد (المحاكاة) ويستند في هذا إلى إيمانه بالفلسفة المثالية التي ترى أن الوعي أسبق في الوجود من المادة، وأن العالم مقسم إلى عالم مثالي وعالم محسوس طبيعي مادي، فالمثل تعني المرجع والماهية الحقيقية للأشياء، " هي الجميل والخير في ذاته...والعقل وحده هو الذي يستطيع إدراكها"[1].

أما العالم الطبيعي أو عالم الموجودات بكل ما يحتويه من أشياء وأشجار وأنهار وأدب ولغة...إلخ فهو مجرد صورة مشوهة ومزيفة عن عالم المثل الأول الذي خلقة الله، وبتعبير آخر فإن العالم الطبيعي مجرد محاكاة وتقليد لعالم المثل والأفكار الجوهرية الخالصة وعليه فهو ناقص ومزيف وزائل، فالأشجار المتعددة في العالم الطبيعي مجرد محاكاة لفكرة الشجرة الموجودة في عالم المثل، وتعدد الأشجار في العالم الطبيعي علامة دالة على عدم تطابقها مع تلك الفكرة، وعلامة على أنها ناقصة ومشوهة[2].

استنادا على هذا التفكير الفلسفي المتمحور حول عالم المثل؛ تمخضت آراء أفلاطون النقدية حول الفن والأدب والشعر، وولدت أول نظرية في الأدب و أشهرها على الإطلاق وهي نظرية المحاكاة. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الآراء وردت متناثرة عبر محاوراته وأهمها "إيون" "الجمهورية" القوانين". وكتاباته حول حقيقة الأدب أكثرها كانت تأتي عرضا وتهدف أساسا إلى تبيان أثر الشعر في سلوك المواطنين.

وتعتبر نظرية المحاكاة من أهم القضايا المتعلقة بالأدب التي ناقشها أفلاطون.إضافة إلى مصدر الشعر ووظيفته ومفهوم الخيال ومفهوم المحاكاة. وتعتبر نظرية المحاكاة أول نظرية في الأدب ظهرت في ق4 ق م، صاغ مبادئها أفلاطون وبعده أرسطو، فماذا تعني هذه النظرية؟

1-آراء أفلاطون النقدية حول:

أ-المحاكاة

[1] : أفلاطون، جمهورية أفلاطون، تر، فؤاد زكريا، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2004، ص145.

[2] : ينظر: شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993، ص ص 18،19.

تعني المحاكاة (limitation) عموما التقليد، وقد اقترن هذا المصطلح بالفيلسوف أفلاطون، بالرغم من وجود من يرجح أن الفكرة كانت معروفة قبل عصره. وهو نفسه يعترف أن هذه الفكرة قامت أساسا على تأملات فلسفية سابقة له، وقد بيّن أفلاطون سبب اختيار هذا الاسم بدل اسم آخر كالابتكار أو التغيير فقال : " كانت الفكرة السائدة بين الإغريق قبل أفلاطون هي أن الفنان لا ينتج أشياء ذات واقعية، بل ينتج ظواهر فقط، وبالتالي فإن التأثير الذي يحدثه الفن كان مجرد تصوير مقلد وليس ابتكارا أو تفسيرا أو ما أشبه ذلك"[1].

انطلاقا من هذا فالمحاكاة مجرد تقليد لا إبداع ولا ابتكار فيها، لأن الصور المبتدعة والمبتكرة في رأيه موطنها عالم المثل فقط. ويضرب لنا مثالا عن السرير إذ يعتقد أفلاطون أن الصورة الحقيقية للسرير موجودة في عالم المثل صنعه صانع كل شيء الذي يتميز بقوة خارقة، فعمله لا يقتصر على إتيان الأشياء المصنوعة فحسب، بل إنه يستطيع أن يخلق كل النباتات والحيوانات وكل الأحياء، فضلا عن ذاته أيضا، وكذلك الأرض والسماء والآلهة والأجرام السماوية، وكل ما في باطن الأرض في العالم السفلي إنه لفنان رائع[2].

فالنجار الذي يصنع سريرا في الواقع، لا يصنع ماهية السرير؛ وإنما سريرا خاصا ليس حقيقيا وإنما يشبهه، وهذا العمل سيكون باهتا بالقياس إلى الحقيقة، فالنجار في هذه الحالة يحاكي السرير الموجود في عالم المثل، وهذا تقليد من الدرجة الأولى. وأما الرسام يرسم ويقلد السرير الموجود في الواقع، لكن كما يبدو له هو[3].

فما يقوم به الفنان هو عمل باهت، محاكاة المحاكاة، أو محاكاة مضاعفة، لذلك يرى أفلاطون أن "الفن القائم على المحاكاة بعيد كل البعد عن الحقيقة، وإذا كان يستطيع أن يتناول كل شيء، فما ذلك على ما يبدو إلا لأنه لا يلمس إلا جزءا صغيرا من كل شيء، وهذا الجزء ليس إلا شبحا، ففي وسع الرسام مثلا أن يرسم لنا إسكافيا أو نجارا أو أي صانع آخر دون أن يعرف عن مهنتهم شيئا، وقد يستطيع إذا كان رساما بارعا أن يخدع الأطفال والجهال، إذ يرسم نجارا ويريهم إياه عن بعد فيظنونه نجارا حقيقيا وما هو إلا بمظهر[4] .

أما بالنسبة للشعراء فلا يختلف وضعهم عن بقية الفنانين، فهم في نظر أفلاطون لا يقولون أشياء حقيقية بل أوهاما، وأعمالهم تقع دائما في المرتبة الثالثة بالنسبة إلى الحقيقة لأن الفنان يحاكي عالم الحقيقة لا عالم المثل.

---

[1] : ينظر، عبد المعطي شعراوي، النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، دط، ص 109.

[2] : ينظر، أفلاطون، جمهورية أفلاطون، تر، فؤاد زكريا، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2004، ص505.

[3] ينظرالمرجع نفسه، ص508.

[4] المرجع نفسه، ص508.

ومن القضايا التي ناقشها أفلاطون المتعلقة بالأدب قضية مصدر الشعر الذي أوعزه إلى الإلهام.

ب-الإلهام

ارتبط مفهوم المحاكاة عند أفلاطون بمفهوم الإلهام. وما كان شائعا قبل أفلاطون ومنذ أيام هوميروس، أن الشعراء ينظمون أشعارهم بتأثير من ربات وآلهات الشاعر، أي أن الشاعر تصدر عنه قصيدته وهو في حالة اللاوعي أو الجنون وذلك بفعل قوة خارجية مقدسة.

تبنّى أفلاطون هذه الفكرة رغم شيوع فكرة أخرى مفادها أن الشعر مهنة، شأنه في ذلك شأن بقية الفنون لذلك فهي تقتضي محاولات واعية عمادها المهارة من أجل إنتاج أعمال فنية راقية. وبالتالي فمصدر الشعر عند أفلاطون مصدر لاعقلاني، يعتمد بالدرجة الأولى على الإلهام، والإلهام يوصل الشاعر إلى إدراك الجمال، والجمال هو الذي يبعث بالنفس بناء على رغبتها إلى رؤية المثال، وتنتهي الرغبة بإدراك مفاجئ للواقع بكل جماله، وبالرؤية الثاقبة للحقيقة، هذا ما يحدثه الإلهام بالنسبة للشاعر[1]. "وأنه نوع من الإيحاء، إيقاظ لقوى خفية في جوف الشاعر لرؤية واقع مثالي"[2] .

ج-الخيال.

حظي الخيال باهتمام واسع في حقول معرفية متعددة ؛ كعلم النفس والفلسفة والبلاغة والنقد الأدبي، وذلك لأنه يتميز بفعالية لا غنى عنها في منجزات الإنسان الثقافية عبر التاريخ.

ويعد أفلاطون من الأوائل الذين اهتموا بظاهرة الخيال، بل أول من قدم نظرية للخيال، وهي نظرية تدخل في فلسفته الميتافيزيقية العامة التي تتأسس على مفهومين أساسيين؛ هما مفهوم الكينونة ومفهوم الصيرورة. والكينونة عبارة عن أفكار متعالية لا يتوصل إليها بالعقل، أما الصيرورة فهي هذه الموجودات او الكائنات التي يقلدها الفن تقليدا ثالثا. وعليه فإن الفن محاكاة لعالم الصيرورة المادي ونتيجة هذه المحاكاة صور مشوهة بائسة[3].

يذم أفلاطون خيال الفنان باعتباره ينتج صورا تؤجج الرغبات الحيوانية، وهذا بدوره يؤدي إلى تعزيز العناصر الحسية الوضعية على حساب المدركات الروحية السامية، وقد يستمد الفنان خياله من أوهام ومن خداع الحواس فتحصل أخطاء، وتتشوه الحقائق لذلك

---

[1] : ينظر، عبد المعطي شعراوي، النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، دط، ص ص111،110.

[2] : المرجع نفسه، ص111.

[3] : ينظر، محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي و المثاقفة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2000، ص13.

يوصف الخيال بأنه" طفل شقي على متبنيه، أو" ولد بئيس لأب بئيس". ويبدو شقاؤه وعقوقه في أنه يريد أن يسلب من خالقه قدرته وسلطته، يريد أن يحطم القوانين و المقولات التي أسس عليها أفلاطون ميتافيزيقاه، لأنه مزج الكينونة باللاكينونة، وبين المادة والروح، وبين النفس والجسم، وبين الخير و الشر، وبين الحقيقة والكذب، أي أنه هدّم النظام الميتافيزيقي المؤسس على مبدأ عدم تناقض[1].

إضافة إلى أن التخييل يرسم في النفس أشباه الأشباه المدركة بالحس، والصور التي ينسجها الخيال هي شبيهة الشبيه ومحاكاة المحاكاة، فالمدرك الحسي لأنه جزئي ومتحول ليس سوى صورة، مما يعني أنه شبيه ومحاكاة لمدرك آخر مثالي، ومنه الصورة الخيالية لا تحاكي المدركات الحسية، وإنما تحاكي أشباهها، لأن الفنان يتصرف فيها ويحورها حسب ما تمليه عليه مخيّلته[2].

أفلاطون إذن يذم الخيال ويقلل من قيمته ويعتقد أنه يدنس الحقيقة. لكن يرى بعض الدارسين أنه وقع في مفارقة شنيعة، وفي تناقض ملحوظ "ذلك أنه شكّك في قيمة الفنطازيا أو المخيلة باعتبارها وظيفة النفس غير السامية، وهي عنده مصدر الوهم وأساس الخطأ، ولكنه ما لبث في محاورة طيماوس أن اعترف للخيال بالقدرة على استحضار الرؤية المتصوفة، تلك التي تسمو على ما يتناوله مجرد العقل[3].

أي أنه يزدري وظيفة الخيال وفي الوقت نفسه يسند له مهام النفس للوصول إلى الرؤى الصوفية. فهو إذن وقع في مفارقة وتناقض عندما رفض الخيال من جهة، واستعمل التشبيه والتمثيل والأسطورة والاستعارة للتعبير عن الأفكار المجردة لإقناع مخاطبيه وتبليغ حججه[4] .

د-الوحدة العضوية.

من القضايا النقدية التي أثارها أفلاطون الوحدة العضوية؛ والتي اعتبرها شرطا أساسيا من الشروط الأساسية للفن، فقد أقر "أن كل عمل فني يجب أن يتركب كما هو مركب الكائن الحي، له جسده الخاص، وكذلك رأسه وقدماه، وأن كل عضو متناسق ومتناسب مع بقية الأعضاء"[5].

---

[1] : المرجع السابق، ص13.

[2] : ينظر، محمد عاطف جوده، الخيال ،مفهوماته ووظائفه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص12.

[3] ، المرجع نفسه، ص11.

[4] : محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم، ص64.

[5] : عبد المعطي شعراوي، النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، ص112.

ويركز أفلاطون على أن الوحدة العضوية لا تعني أن يكون للعمل بداية ووسط ونهاية، بل يعني بها " وحدة من نوع حيوي،حيث يتناسب كل جزء من أجزائها دون أن يخل ذلك بوحدة الكل"[1].

الوحدة العضوية عنصر فعال تجعل العمل الفني بناء ينضح ويشع جمالا، ولا يمكن المساس بجزء من أجزائه وإلا سيتهدم.

ولا تقتصر الوحدة العضوية على الخطابة فقط بل تشمل كل الفنون حيث يرى أن الفنان يجب أن يرتب كل شيء في نظام معين، ويجعل كل جزء متآلفا مع الأجزاء الأخرى حتى يخرج عمله كلا منظما متماسكا.

ويؤكد أفلاطون أن الشاعر عليه أن يتبع ويحرص على الوحدة العضوية في إيقاع الشعر وموضوعه، لأنها تحقق الجمال الفني في بناء القصيدة وفي موضوعها وهي مثل الروح بالنسبة لجسد القصيدة[2].

ه-تصنيف الشعر

صنف أفلاطون الشعر إلى مجموعة من الأنواع: الشعر الغنائي(الديثرامبوس) والشعر الدرامي والشعر الملحمي، وقدم ملاحظات متعلقة بكل نوع.

1-التراجيديا: هي محاكاة لحياة أفضل وأنبل، وشبه أفلاطون الشعراء التراجيديين الممتازين بالمشرعين، وأهل الخير في مجتمعهم، ويشير إلى أن التراجيديا أدنى من الشعر الملحمي[3].

2-الكوميديا: يعرّفها أفلاطون بأنها خداع النفس غير المؤذي، الذي يبعث على الضحك والذي هو بدوره سرور شرير يؤدي إلى الانفعال، وهو يتفق مع التعريف الحديث للضحك، والذي هو سعادة مفاجئة تنشأ عن مفهوم مفاجئ، لسموّ في نفوسنا عن طريق المقارنة بضعف الآخرين أو بضعف في نفوسنا كان في وقت سابق.

ويحاول أفلاطون أن يفسر العاطفة الناتجة عن الكوميديا فيعتبرها خليطا بين الألم والسرور والابتهاج، ويأتي نتيجة اكتشاف بعض النقائص في الأصدقاء الذين تتعاطف معهم.

من الفوائد التي نسبها أفلاطون للكوميديا أنها توسع مداركنا وفهمنا عن الطبيعة البشرية، وتشير إلى الأعمال التي تثير السخرية والتي يجب تجنب الوقوع فيها[4].

---

[1] : المرجع نفسه، ص112.
[2] : المرجع السابق، ص..
[3] : ينظر، عبد المعطي شعراوي، النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، ص113.
[4] : ينظر، المرجع نفسه، ص114.

ويحذر أفلاطون من المبالغة في إثارة الضحك، فالمبالغة في الضحك تجعل الإنسان يتعود على السخرية منالآخرين وتنسيه كيف يكون جادا، لذلك أكد سقراط على أنه" يجب استخدام الضحك مثل استخدام الملح"[1] يجب أن يكون الضحك بقدر وبمعقولية لا يتجاوز الحدود.

3-الشعر الغنائي والتعليمي والملحمي: أشاد أفلاطون بهذه الأنواع الشعرية، بشرط أن تعبر عن حقائق ومثل سياسية وأن تنهض بالقيم وأن تحوي أناشيد مدح للآلهة والأبطال[2].

2- وظيفة الشعر:

يؤكد أفلاطون على الوظيفة النفعية التربوية للشعر، فطالما كان الشعر عند أفلاطون جزءا من مشروع فلسفي قوامه النشأة السلمية للمدينة الفاضلة وسكانها، لذلك فهو يعتبره ذو وظيفة تربوية بالأساس، إذ يدخل كجزء من التربية الضرورية للأطفال، ويقدم المعاني الفاضلة الضرورية للجمهورية، لذلك فالشعر يتم الإشراف عليه من طرف المربين والساسة للتأكد من عدم تمريره لقيم ومعان تفسد تربية الأطفال[3].

وظيفة الشعر عند أفلاطون وظيفة تعليمية، والوظيفة التعليمية تقترن دائما بالوظيفة الأخلاقية، وعليه اعتبر أفلاطون أن وظيفة الشعر في المجتمع اليوناني تتمثل في نقل التراث الثقافي شفويا. فالشعر وفقا لأفلاطون أداة لنقل التراث الثقافي شفويا والتعريف به، وعليه فهو أداة لتداول المعلومات الثقافية من جيل إلى جيل.

3-موقف أفلاطون من الشعر ومسوغات طرده للشعراء من جمهوريته.

قام أفلاطون بحملة شرسة ضد الشعراء، فأدانهم وطردهم من جمهوريته الفاضلة لأسباب عديدة أهمها:

1-الشاعر بعيد عن استخدام العقل وبالتالي فهو بعيد عن الحقيقة التي يعدها أسمى الغايات.

2-مخاطبة الشعراء للعواطف، فبدلا من أن تكون مهمة الشاعر تخفيف العواطف نراه يقوم بمهمة معاكسة إذ يؤجج عواطف الناس ويلهبها، ويجعل الإنسان يستسلم لعواطفه ويبتعد عن استخدام عقله[4].

---

[1] : المرجع السابق، ص114.

[2] عبد الهادي بلمهل، الشعرية في أصولها الغربية، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والانسانية، مج2، ع7، جوان2019، ص89.

[3] : عبد الله المطيري، أفلاطون وجمهوريته الفاضلة بلا شعراء، نشر في 2014/05/02، تاريخ الاطلاع، 2024/08/10، على الرابط: https://aawsat.com/home/article/88961

[4] : شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، ص25.

3-لأن الشعراء يتلقون شعرهم عن طريق الإلهام وليس من نبع مهاراتهم، يقول أفلاطون:" فكل الشعراء المجيدين، شعراء الملاحم وشعراء الغناء على السواء يؤلفون شعرهم الجميل، لا عن فن أو حذق، لكن يوحى إليهم ولأن روحا تنقصهم"[1].

فالشعراء في نظر أفلاطون ليسوا متعقلين لأنهم لا يمتلكون السيطرة على ما يقولون.

4-في كثير من الأحيان لا يعرف الشعراء أي معلومات عن الموضوعات التي يحاكونها، فهوميروس مثلا يصف المعارك ولكن لا يعرف شيئا عن التكتيك العسكري والخطط الحربية، ويصف الطب لكنه لم يخلف لنا كتابا عن مبادئ الطب[2].

5-لأن الشاعر في عهد أفلاطون كاذب مضلل لا يصلح أن يعبر عن فكر الإله بسبب ما يقدمه من أفكار سلبية.

6-لأن الشاعر يعتمد على الخيال، وكما هو معلوم أفلاطون يذم الخيال لأنه محايث لخمس نقائص وهي الجهل واللاتعليمية واللاعقلانية والوثنية، وهي نقائص كفيلة وشافية لأن يطرد أفلاطون الشعراء من جمهوريته[3].

7-جمهوريته بكل ما فيها من تنظيمات وقوانين صارمة هي آلة نقل هؤلاء الناس من الظلمات إلى النور، مشروع أفلاطون بدأ من هذه المقدمة، وكان من الطبيعي أن ينتهي إلى حجب ورقابة على ساكني الجمهورية، كما تمارس المدرسة الحجب والرقابة على الأطفال في المدارس. سكان جمهورية أفلاطون يشبهون أطفال المدارس، المدارس تراقب وتصفي كل المعارف قبل أن تصل إلى الأطفال، كذلك كانت جمهورية أفلاطون ترى في الشعراء خطرا، والناس عاجزون عن التعامل معه، لذا كان الحجب والطرد والإبعاد للشعر والشعراء[4].

---

[1] : المرجع السابق، ص ص 25، 26.

[2] : شكري عزيز الماضي، المرجع السابق، ص25.

[3] : محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم، ص63.

[4] : عبد الله المطيري، أفلاطون وجمهوريته الفاضلة بلا شعراء، نشر في 2014/05/02، تاريخ الاطلاع، 2024/08/10، على الرابط: https://aawsat.com/home/article/88961